

وَلَمْ أَرَ مُنْصِفًا إِلَّا قَلِيلًا بِصِدْقِ الْوَدِ وَالْقَلْبِ السَّلِيمِ
وَلَمْ أُنْكِرْ مِنَ الْأَيَامِ عَيْنًا يُسَاوِي رَفْعَ الْكَثِيرِ عَلَى الْكَرِيمِ

ولابي حفص الفاسي من قصيدة على منوال لامية العجم:

لَا تَعْتَبِنَّ عَلَى دُهْرِ تُسَاءَ بِهِ فِيمَا عَلَى الدَّهْرِ مِنْ عَثْبٍ وَمِنْ عَذَلٍ
وَاسْتَغْنُ بِاللَّهِ لَا يُغْنِيكَ مَا تَجْعَلُ
وَكِيفَ تَسْأَلُ عَبْدًا لَا غَنَاءَ لَهُ أَمْ كَيْفَ تَسْأَلُ ذَا فَقْرٍ وَذَا بَخْلٍ

ما اعْتَضَتَ عَنْ بَذْلِ مَاءِ الْوَجْهِ مِنْ يَعْوَضِ

يُومًا وَلَوْ نَلَتْ مَا تَرْجُوهُ مِنْ أَمْبَلِ
فَلَا تَنْهُ بِعَرْضٍ فِيهِ مُبْتَدَلٌ
وَالْمَالُ يُبَذَّلُ فِي الْأَعْرَاضِ تَالِدُ
رَمْحَ الْإِبَايَةِ مِنْ سُوءِ وَمِنْ خَطْلِ
يَحْمِي النُّمَارُ وَيُصْمِي مِنْ يُحَارِبِهِ
وَلَيْسَ يُلْفَى عَلَى الإِثْرَاءِ ذَا بَطْرِ
تَأْبِي لَهُ اللَّهُمَّ الشَّرَاءُ مُحَجَّمٌ
وَيَشْمَخُرُ بِأَفْعَلِ الْعِزِّ مُنْقَبِضًا
وَمُورِثُ الْعَزِّ رَبُّ الْعَزِّ أَجْمَعِهِ
وَالْأَنْسُ بِاللَّهِ لَا بِالنَّاسِ قَاطِبَةٌ
وَالْمَرْبُسْتَفُ تُرْبَ الْأَرْضِ مُحْتَمِلًا

ما مُنَّ بالورود عن لَفْ وَعْنَ غَلْلٍ^١
 في ظل عز مدید غير متقل
 ففي القناعة منجاة من الغِيل
 فعالج النفس بالترحال والتَّقَلَّ
 ورَاكِدُ الماء لا يخلو من الدَّخل
 تجُّنُّ فَمَا يُدْنِي المقدور في الأَزْل

ويهجر المنهل العذب البرُود اذا
 مُلِكَ القناعة لا تنفك إِمْرَأَه
 فَنَمْ بِهِ غَيْرَ مَزْوَدٍ^٢ ولا وَجْلٌ
 وان سَيَّمْتَ أو اسْتَوْخَمْتَ مِنْزَلَهُ
 فالسلسل العذب في الانهار مُطْرُدٌ
 وحُضْنُ لَنَيْلِ الْعَلَابِجَرِ المكاره لا

وان ظَفِيرْتَ بِغَمْرِ العيش في دَعَةٍ

فاذْكُرْ رَقِيقَكَ إِذْ أَصْبَحْتَ ذَا وَثَلٌ^٣

وَلَا اعْتَلَ قَدْرُهُ وَالْأَهْلُ فِي نَهَلٍ^٤
 كشِيمَةُ الْحَلْمِ وَالْإِنْخَنَاءِ وَالرَّسْلِ^٥
 سُودُ الْكِلَابِ وَقَدْ أَسْرَى عَلَى نَهَلٍ
 فَالصَّبَرُ يُوَلِّكَ مَا لَوْلَاهُ مَتَّلٌ
 صُدُورُهُمْ أَعْظَمُ الْأَدْوَاءِ وَالْعِيلَ
 زَادُوا بِهِ أَسْفًا يُدْنِي مِنَ الْأَجْلِ

ما أَيْسَرَ المرة والاتباع مُعيِّنةٌ
 ولن تَرَى لِغَرِيقِ الْجَدِّ مِنْ سِمةٍ
 ما ضَرَّ بَدْرَ السَّجْنِي فِي الْاَفْقِ تَنْبَحِهُ
 واصِرٌ عَلَى مَضَضِ الْحَسَادِ مُتَّهِدًا
 أَمَا يُسْرُكَ أَنَّ الْقَوْمَ قدْ ضَيَّقُ
 يَا وَيَنْجِهمْ كُلَّمَا زَادَ الْفَتَّى شَرْفًا

١ - عن تعب وعطش .

٢ - مذعور .

٣ - مال .

٤ - عطش .

٥ - السهرة واللين .

أولاً هُم سخطوا صنعَ الحكيمِ فـهـا
 وللأعادي أيدِ جـلـ مـوـقـعـها
 وكم تجـشـمتـ طـرـقـ الجـدـ مـعـتـجـزاـ
 وكم لـيـسـتـ دـرـوعـ الحـزـمـ مـمـتـطـيـاـ
 وكم تـسـئـمتـ أـعـلـىـ ذـرـوةـ فـغـدـتـ
 قـفـلـ لـمـ لـاتـحـظـ الـعـلـيـاءـ نـاظـرـهـ
 أـبـالـتـكـاـشـلـ تـبـغـيـ نـيـلـ مـاـفـرـةـ
 عـنـ سـاقـ جـدـكـ شـرـ شـرـ ذـيلـ مـعـتـزمـ
 وـقـلـ لـمـ يـتـبـغـيـ صـفـواـ بـلـ كـدرـ
 وـدـونـ شـهـدـ المـشـيـ منـ نـخـلـهـ إـبـرـ
 وـسـامـحـ إـخـلـ انـ زـلـتـ بـهـ قـدـمـ
 وـانـ تـضـعـضـ رـكـنـ الـودـ مـنـهـ فـلـاـ
 قـاـشـدـ قـوـاهـ وـحـاذـرـ أـنـ تـعـنـفـهـ
 آـهـ فـآلـسـيـنـةـ التـجـرـيبـ قـائـلـهـ
 وـانـماـ إـخـلـ منـ يـوـليـكـ نـائـلـهـ

فـلـسـتـ تـبـصـرـ بـخـلـاـ غـيرـ ذـيـ زـلـلـ
 تـعـجـلـ وـقـدـ خـلـقـ إـلـاـنـسـانـ مـنـ عـجـلـ
 فـرـبـ نـفـسـ اـمـرـيـءـ تـغـتـاضـ بـالـعـدـلـ
 تـوـثـهـ إـخـلـ فيـ الدـنـيـاـ مـنـ إـخـلـلـ
 دـأـيـاـ وـيـنـجـدـ عـنـدـ الـخـادـثـ إـخـلـلـ

ويَكْثُمُ السرَّ إِنْ افْشَاهُ دُوْسَهُ
ويَحْفَظُ الودَ فِي سرِّ وَفِي عَلَنِ
وَيَصْبَحُ الصَّدَقَ فِي جَدَّ وَفِي هَزَلِ
فَمُبَرِّمُ الْعَهْدِ مِنْهُ غَيْرُ مُنْفَصِّمِ
وَآيَةُ الصَّدَقِ فِي دُعَوَاهُ بَيْتَهُ
فَرُضَ عَلَى الْيَأسِ مِنْهُ نَفْسُ ذِي كَرْمِ
فَائِنَا عَقَبَاتُ الْمَجْدِ يُوْشِكُ أَنْ
وَدُونَكُ الْعِلْمَ لَا تَبْغِي بِهِ بَدْلًا
فَالْعِلْمُ نُورٌ مُّبِينٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
فَاعْمَلْ جِرَابَكَ مِنْهُ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ
وَرَوْضَ النَّفْسِ وَاسْتَكْمَلَ فَضَائِلَهَا

تَجْنِي ثِمَارَ الْمُنْيِ منْ رَوْضَهَا الْخَنْبِيلِ

وَتَجْتَلِي النَّجْمَ زُهْرَا وَآيَةَ
تَلْكَ السَّعَادَةُ لَا تَجَاهُ وَمِيسَرَةُ
فَالْمَرْءُ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجَسْمِ مُرْتَفِعٌ
وَالنَّفْسُ أَنْفُسُ مَا يُعْنِي اللَّبِيبُ بِهِ
وَابْلُأُ إِلَى اللَّهِ فِي أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ

بُدُورَ تَمَّ وَأَخْرِي الشَّمْسِ لَمْ تَزُلْ
وَلَا التَّرْفَهُ وَالْإِرْفَاهُ فِي الْخَلَلِ
وَالنِّسْفُ بِالنَّصْلِ لَا بِالْغَمْدِ وَالْخَنْبِيلِ
فَارْتَبَا بِنَفْسِكَ أَنْ تُعْنِي بِمُنْسَقِلِ

وكلٌ إلى الله كلَّ الأمر واغنَ به حمَنْ سواه فانَّ الله خيرٌ ولِي
ولابن الْوَنَانِ من قصيدة الشَّمَقْمَقِيةَ التي مدح فيها السلطانَ محمد بن
عبدالله وقد ألغينا هذه الصفة العرضية واعتبرناها كا هي قصيدةً ادبيةً
ولم نطوّل بشرح غريبيها وتفسير إشاراتها إلاّ ما خفَّ اعتقاداً على قربِ
ذلك من متناول القارئ بسبب الرجوع إلى شروحها العديدة * :

مَهْلَاً عَلَى رِسْلِكَ حادِي الْأَيْنُقْ رلا تُكْلِفُها بِمَا لَمْ تُطِقْ
فطالما كلفتها وسقتها سوقَ فتى من حالمَالِم يُشْفِقْ
ولم تزل ترمي بها يدُ النَّوْي
وما أثْلَتْ تذَرَعَ كُلَّ فَدَفْدَرْ
وكُلَّ ابْطَحَ واجْرَعَ ويجْزَعَ
بحاجِلْ تَخَارُ فيهنَ اللَّهَظَا
ولم تَزَلْ تقطَعَ جِلْبابَ الدُّجَى
فيما استراحتْ منْ عُبورَ جَعْفَرَ
إلاًّ وفي خَضْنَاعْ دُمْعَ عَيْنَها

بَكْلَ فَجَّ وَفَلَةٍ شَلَقْ
أَذْرَعَها وَكُلَّ قَاعَ قَرْقَ
وَصَرِيمَةٍ وَكُلَّ أَبْرَقَ
لَا دِمْنَةٌ لَا رَسْمٌ دَارِ قدْ بَنَى
يَحْلَمَ الْيَدَ ١ وَسَيْفَ الْعُنْقَ
وَمِنْ صَعْدَ يَصْعِيدَ زَلَقْ
خَاصَتْ وَغَابَتْ بِسَرَابٍ مُطِيقْ

* - ولنا عليها شرح مختصر طبع مراراً .

١ - أي بآيديها الشبيهة بالجلم وهو المراض .

٢ - أي نهر .